

إبراهيم الفقي مسيرة حياة من أبو النمرس إلى الهجرة والبحث عن الذات



الاثنين 31 أغسطس 2026 07:00 م

لم تكن رحلة الدكتور إبراهيم الفقي عالم التنمية البشرية مسيرة تقليدية لرجل بدأ حياته من نقطة واضحة ثم وصل إلى هدف محدد، بل كانت تجربة طويلة انتقل خلالها بين محطات متباينة، بدأت من ممارسة رياضة التنس، ومرت بالعمل في مهنة بسيطة، قبل أن يتحول إلى واحد من أشهر الأسماء العربية في مجال التنمية البشرية والتحفيز.

وُلد إبراهيم محمد السيد الفقي في 5 أغسطس عام 1950 بمنطقة أبو النمرس في الجيزة، ونشأ في مصر قبل أن يهاجر إلى كندا، حيث بدأ رحلة مهنية طويلة امتدت لنحو 35 عامًا، استطاع خلالها أن يبنى لنفسه حضورًا واسعًا في مجال التدريب والمحاضرات والكتب والبرامج التلفزيونية.

وتحوّلت تجربته الشخصية إلى جزء أساسي من خطابه، إذ كان يركز باستمرار على قدرة الإنسان على تجاوز ظروفه، واكتشاف إمكانياته، وعدم الاستسلام للفشل، وهي الأفكار التي اختصرها في عبارته الشهيرة عن ضرورة استخراج "العنلق الذي في داخلك".

ولم يقدم الفقي نفسه باعتباره صاحب طريق واحد للنجاح، وإنما جعل من تجربته الشخصية مادة أساسية في خطابه، مستندًا إلى انتقاله من حياة بسيطة إلى العمل في مجال الفنادق والتدريب، ثم تأسيس مؤسسات ومراكز متخصصة في التنمية البشرية.

تجربة مهاجر صنعت اسمه عربيًا

كانت الهجرة إلى كندا نقطة تحول أساسية في حياة الفقي، لكنها لم تكن بالنسبة إليه مجرد انتقال من بلد إلى آخر، بقدر ما كانت رحلة بحث عن الذات وإعادة بناء الشخصية.

وفي مونتريال، عمل في بداياته في وظائف مختلفة، من بينها غسل الأطباق، قبل أن يتدرج في قطاع الفنادق ويصل إلى مواقع إدارية، ثم يتجه تدريجيًا إلى التدريب والتنمية البشرية.

ومع مرور السنوات، توسعت أنشطته وأصبح يلقي المحاضرات ويقدم البرامج التدريبية، ثم عاد إلى المنطقة العربية حاملًا تجربة غريبة في التدريب والإدارة، ممزوجة برؤية شخصية ذات حضور ديني وروحي واضح.

وكان الفقي يصر في كثير من الأحيان على تقديم محاضراته باللغة العربية، كما شارك في أمسيات ومحاضرات جماهيرية، بعضها دون مقابل، الأمر الذي ساعد على تعزيز صورته لدى قطاع واسع من الجمهور العربي.

ومع ظهوره المتكرر في القنوات الفضائية، ومنها قنوات دينية، ازدادت شعبيته، خصوصًا بين الباحثين عن خطاب يجمع بين التنمية الذاتية والإيمان والأمل والتغلب على الأزمات.

خطاب يجمع الإيمان والتنمية

تميز خطاب إبراهيم الفقي بمحاولة الجمع بين مفاهيم التنمية البشرية وبعض المفاهيم الدينية والأخلاقية، وهو الأمر الذي كان سببًا في زيادة شعبيته من جهة، وإثارة الانتقادات حول تجربته من جهة أخرى.

وكان يؤكد في محاضراته أن النجاح لا يرتبط بالطموح وحده، وإنما يحتاج إلى العمل والصبر وعدم الاستسلام، مع الاعتماد على الله

ومن أشهر العبارات التي ارتبطت باسمه: "عش كل لحظة كأنها آخر لحظة في حياتك"، وهي عبارة كان يربطها بالإيمان والحب والأمل والكفاح والتحلي بأخلاق النبي والصحابة والمصلحين

كما كان يكرر أن الإنسان قادر على تحقيق طموحاته إذا جمع بين التوكل والعمل وعدم اليأس، وكان يحث جمهوره على الابتعاد عن الأشخاص الذين يحاولون التقليل من طموحاتهم

وفي إحدى المقابلات التلفزيونية، عبّر الفقي عن رؤيته للإنسان بقوله إن البشر يعيشون تجربة روحية، بينما يرى هو أن الإنسان في جوهرة "روح تعيش تجربة بشرية"، في إشارة إلى نظريته التي جمعت بين العقل والجسد والمشاعر والروح

انتقادات طالت شهادته ومنهجه

رغم الشعبية الكبيرة التي حققها الفقي، لم تخلُ تجربته من انتقادات حادة، خاصة من بعض المتخصصين والباحثين الذين شككوا في الأساس العلمي لبعض أفكار التنمية البشرية التي كان يقدمها

وذهب منتقدوه إلى وصف التنمية البشرية في بعض صورها بأنها ليست علمًا قائمًا على أسس تجريبية راسخة، معتبرين أن بعض الخطابات المنتشرة في هذا المجال تعتمد على العبارات التحفيزية والتجارب الشخصية أكثر من اعتمادها على المناهج العلمية

كما تعرض الفقي لانتقادات تتعلق بالشهادات التي حصل عليها، وبطبيعة المؤسسات التعليمية التي تلقى فيها بعض تدريباته، فضلًا عن اتهامات تتعلق باستخدام اقتباسات وأفكار سبق أن طرحها آخرون

ووصلت بعض الانتقادات إلى وصفه بأنه يقدم "وهفًا مغلفًا بالتغلب على الصعوبات"، بينما رأى آخرون أن نجاحه الجماهيري لا يعني بالضرورة صحة كل ما قدمه من الناحية العلمية

كما أثير جدل حول بعض المعلومات المنشورة على الإنترنت بشأن سيرته وشهادته ومؤسساته التعليمية، إلا أن الاعتماد على نتائج محركات البحث وحدها لا يكفي بالضرورة للحكم على المسيرة المهنية لشخصية عامة، خصوصًا عندما يتعلق الأمر بسيرة امتدت لعقود

بين الشهادة والموهبة

في المقابل، يرى المدافعون عن تجربة الفقي أن اختزال مسيرته في الشهادات أو الجدل الأكاديمي حول بعض أفكاره يمثل تجاهلاً لجانب مهم من تجربته، وهو قدرته على التواصل والتأثير والوصول إلى الجمهور

ويشير هؤلاء إلى أن الشهادة الجامعية لا تمثل وحدها معيارًا مطلقًا للحكم على قدرات الإنسان، كما أن امتلاك الشهادة لا يعني بالضرورة امتلاك القدرة على التعليم أو التواصل أو صناعة التأثير

وبالنسبة إلى الفقي، فإن إحدى أبرز نقاط قوته كانت قدرته على تحويل الأفكار المجردة إلى رسائل بسيطة يمكن للجمهور استيعابها، وهو ما ساعده على بناء قاعدة جماهيرية كبيرة في مصر والعالم العربي

لكن ذلك لا يلغي في المقابل أهمية إخضاع أي أفكار تدعي الصفة العلمية للبحث والتقييم وفق المعايير العلمية، خصوصًا عندما تتصل بالنفس البشرية والسلوك والصحة النفسية

ومن هنا ظل الجدل حول الفقي قائمًا بين اتجاه يرى فيه نموذجًا للعصامي العربي الذي استطاع بناء نفسه في بلاد المهجر، واتجاه آخر يضع تجربته في إطار صناعة التحفيز الجماهيري التي تحتاج إلى تدقيق علمي أكبر

مؤلفات صنعت شهرته

ترك إبراهيم الفقي عددًا كبيرًا من الكتب والمواد التدريبية، وتحولت بعض مؤلفاته إلى عناوين معروفة لدى جمهور التنمية البشرية في العالم العربي

ومن أبرز كتبه "المفاتيح العشرة للنجاح"، و"قوة التحكم في الذات"، و"قوة التفكير"، و"الأسرار السبعة للقوة الذاتية"، إلى جانب تسجيلات صوتية ومرئية وبرامج ومحاضرات تدريبية

كما ارتبط اسمه ببرامج تلفزيونية تناولت النجاح وتطوير الذات، وأسهم ظهوره الإعلامي المستمر في توسيع دائرة جمهوره

وتنسب إليه كذلك مجموعة من النظريات والمفاهيم في مجال التنمية البشرية، من بينها ما عُرف بنظرية التكيف العصبي ونظرية قوة الطاقة، بينما يرى منتقدون أن بعض هذه الطروحات تحتاج إلى التعامل معها بوصفها أفكارًا تدريبية لا حقائق علمية مثبتة، وهي نقطة ظلت جزءًا من الجدل حول تجربته

وبحسب ما يرد في سيرته المهنية، فقد درّج مئات الآلاف من الأشخاص، وُترجمت مؤلفاته إلى لغات متعددة، وهو ما يعكس حجم الانتشار الذي حققه خارج مصر أيضًا

رحيل أنهى رحلة طويلة

توفي إبراهيم الفقي في القاهرة في فبراير 2012 عن عمر ناهز 61 عامًا، تاركًا خلفه تجربة ما زالت حاضرة في النقاش العربي حول التنمية البشرية والخطاب التحفيزي

وكان من بين الذين تحدثوا عن رحيله الدكتور أحمد شلتوت، الذي اعتبر وفاته خسارة لمصر وللوطن العربي، مشيرًا إلى حجم تأثيره وانتشاره في مجال التدريب والتنمية البشرية

كما صدرت عنه شهادات تقدير من شخصيات ووسائل إعلام في كندا والولايات المتحدة ونقل عن دارلين مونتجومري من تلفزيون لويديانا وصفه بأنه من أبرز المتخصصين في التنمية البشرية، فيما وصفه آلان لاروس من تلفزيون مونتريال بأنه من أفضل المحاضرين العالميين في عصره

وبين المديح والانتقاد، بقي إبراهيم الفقي شخصية مثيرة للجدل؛ فهناك من يراه نموذجًا للعصامي الذي صنع نجاحه بنفسه، وهناك من يرى أن بعض أطروحاته لا تستند إلى ما يكفي من الأدلة العلمية

لكن بعيدًا عن هذا الخلاف، يصعب إنكار أن الفقي نجح في الوصول إلى شريحة واسعة من الجمهور العربي، وأن عباراته عن الأمل والعمل والصبر والكفاح تحولت إلى جزء من الذاكرة الشعبية لجيل كامل

وربما كان هذا هو الجانب الأكثر بقاءً في تجربته: قدرته على تحويل قصة حياته من رحلة مهاجر بدأ من وظائف بسيطة إلى خطاب واسع الانتشار عن النجاح، حتى وإن ظلت الوسائل والأفكار التي استخدمها محل نقاش بين مؤيديه ومنتقديه